بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ماذا أقول في صفحة أبن أبي طالب؟ فهو كتاب زاخر، وتاريخ مشرق، ونور لا يأفل. لو قرأنا بعض الجوانب من سيرته لتعجبنا. رجل يندر وجود مثله بين الرجال، وصفحة نادرة، وبطولة عظيمة.

كان الإمام علي ذا نظرة نفاذة وروح نقية، وفكر عملاق. الفكر الذي ملأ الدنيا عطاءً علميًا وأخلاقيًا وروحيًا وسياسيًا غزيرًا من أجل الانسان والانسانية.

يتعمق ما انتهى اليه من معارف الذين سبقوه، فتبصر منها ما يقر، وأضاف لها ما يضيف، وهو القائل لولده الإمام الحسن:" يا بني إني وان لم أكن عمرّت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لله من كل أمر نخيلة ..."(٤).

إنّ الحوار قديم قدم وجود الشعوب والتجمعات البشرية وتجاورها وتفاعل بغضها ببعضٍ، حيث تبادل المعارف والتجارب وأنماط العيش. وقد أكدت أهمية الحوار ووحدة الأمة في التشريعات والأديان والفلاسفة والحكماء على مرّ العصور.

ولأنّ الانسان كائن اجتماعي بطبعه؛ فإنه يتواصل مع أخيه الانسان، سواء داخل المجتمع أو فيما بين المجتمعات. ويعبّر عن هذا التواصل من خلال الثقافة، فكل سلوكنا وأفكارنا ومواقفنا تنطوي في جوهرها على علاقات ثقافية. والحوار دعامة أساسية لتحقيق وحدة النسيج الاجتماعي للأمة، والسلام بين الأفراد، وهو من ضرورات العصر الذي لا يمكن فيه التعايش والتفاعل والتفاهم إلا بقبول الحق في الاختلاف، وبالانفتاح على الآخر، وتبادل الأفكار والآراء.

في هذا البحث لم أدرس الحوارات الفلسفية التي أجراها الإمام علي، بل أدرس فلسفة الحوار، لأنَّ الحوار الفلسفي يصدم بسلسلة من الاشكاليات المرتبطة بغموض العلاقة بين الحوار والفلسفة.

هل يمكننا بالفعل فصل دراسة الحوار الفلسفي عن فلسفة الحوار؟

عدّت الفلسفة منذ افلاطون أنَّ الحوار قيمة وممارسة. ووجدنا أن الإمام علي عدَّ الحوار قيمة واستخدمه طريقة للخطاب، تقدم على القيمة المعطاة للنظر في كلام الآخر، الرد، والاعتراف، في حين أنّ الإمام علي في خطبه ورسائله نادراً ما مارس حواراً فلسفياً، لكنه أعطى للحوار فلسفة ورؤية خاصة به، وهذه الرؤية أدت دوراً بارزاً في التنظيم الأمثل لأشكال المحادثات؛ لأنَّ الحوار بصورة عامة يمرُّ عبر الخطاب مهما كانت طريقته ونظامه.

أكد الإمام علي أهمية الحوار ووحدة الأمة الإسلامية من خلال سيرته وخطبه ورسائله إلى عماله، والاهتمام بالقواسم المشتركة بين البشرية: " إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق" (٥)، وذلك للوصول إلى التفاهم ودرء الجدال والخصام والحرب؛ لأنَّ الحرب بالنسبة للإمام بقدر ما هي تغطية للباطل فهي متلفة ومدمرة .

اتخذ الإمام علي الحوار طريقًا لمواجهة التطرف، ولاسيما في حواره مع أصحابه قبل وقوع معركة الجمل في البصرة، وحواره عن طريق الرسائل مع معاوية بن أبي سفيان، وكذلك حواره مع الخوارج بعد فتنة معركة صفين.

تكمن أهمية ثقافة السلام ونبذ الحرب التي تميز بها الإمام في تعزيز ثقافة التعايش والتشارك المبنية على القيمة المقدسة للإنسان، وهي الحرية التي عدها ينبوعًا لكلِّ سواقي القيم الأخرين، مثل: العدالة، والتسامح، والحوار، واحترام حقوق الانسان في العيش. هذه الثقافة ترفض العنف، وتتشبث بالوقاية من النزاعات في منابعها أو اللجوء الى الحرب والتفاهم لتسويتها. ومن هذا المنطلق أشاع الإمام علي فقه الحوار واللاعنف خلال مسيرته.

أرسى الإمام علي أجمل وأبدع وأكمل قواعد الحوار الانساني الذي يحفظ وحدة نسيج الأمة وصيانة كرامة الانسان. وأشار الإمام إلى قواعد ومرتكزات أساسية للوصول الى تلك الأهداف، منها: تغليب رأي الأكثرية، واحترام رأي الأقلية، وحسن الظن بالآخر، وكشف الحقيقة، والحوار حديث إيمان لا حديث تكفير، وحديث معرفة لا حديث شتم وتحقير.

الهدف من البحث:

١.اظهار الصورة المشرقة لمفهوم فلسفة الحوار ووحدة الأمة عند الإمام علي.

٢.اظهار أهمية الحوار في الحفاظ على وحدة الامة الانسانية، والتشديد على أنّ الحوار من أفضل الطرق لإزالة الخلافات بين أبناء البشر.

مفهوم الحوار لغةً واصطلاحًا:

يعرّف الحوار لغةً بأنه: من حاور يحاور محاورة، وقد ورد في تاج العروس أن الحوار يعني تراجع الكلام، كما ورد في لسان العرب لابن منظور تحت الجذر (حور) وهم يتحاورون أي يتراجعون (٦).

ويعرف الحوار اصطلاحًا بأنه: محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد، لكلّ منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن الخصومة والتعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت من الطرف الآخر (٧).

مفهوم الوحدة عند الإمام علي:

إنّ التعددية والاختلاف بين الناس في نظر الإمام علي أمر واقع وملموس، ولكنها بدلًا من أن تكون مجالاً للخلاف والنزاع والسيطرة، ينبغي أن تفتح الطريق أمام وحدة المجتمع الانساني. ويشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى بوضوح في قوله تعالى:" **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائـــل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**" (الحجرات:١٣). والتعارف هنا إنما هو الحوار. فالحوار ظاهرة انسانية عالمية وسنّة الهية،

ونتيجة لاختلاف الرأي، جاء الحوار وسيلة للوصول إلى الحق والصواب، بل كذلك وسيلة لوحدة النسيج الاجتماعي للأمة البشرية. إن وحدة الخالق تأتي من وحدة المخلوق، وجاء في قوله تعالى: " **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**" (الأنبياء: ٩٢).

وضع الإمام علي خلال مسيرته التي لا تزال معيناً لا ينضب من الفضائل والمكارم، أصولاً كثيرة في التعامل التي على أساسها تعزز وحدة أمة الانسان وحماية كرامته، في وقت دأبت تلك الأمة على الشقاق والانقسام، وكان يوصي المسلمين: " إلزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة واياكم والفرقة " (٨).

تعدّت جغرافية الإمام حدود المكان والزمان؛ لأن حدوده هو الوجود الانساني كله. فمفهوم وحدة الأمة هو وحدة الجنس البشري بغض النظر عن انتماءاته ومعتقداته، ومنه قوله الشهير:" إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق" (٩).

الإمام علي والقرآن :

كانت للقرآن مكانة خاصة في حياة الإمام علي، كما في وصفه: " نورًا لا تطفأ مصابيحه، ولا يخمد توقده، وبحرًا لا يدرك قعره، ومنهاجًا لا يضل نهجه، وفرقانًا لا يخمد برهانه، فهو معدن الايمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، جعله الله ريًا لعطش العلماء، وربيعًا لقلوب الفقهاء، وبرهانًا لمن تكلم به، وفلجًا لمن حاج به، وآيةً لمن توسم به، وحديثًا لمن روى، وحكمًا لمن قضى" (١٠).

لقد بذل الإمام كل طاقته بعد مقتل عثمان بن عفان لإعادة وحدة الأمة، ولم يقبل الخلافة إلا من أجل ضمان وحدة الرعية. فإنه غلّب الدين على السلطة، ولم يكن اهتمامه بالسلطة بقدر اهتمامه بمصلحة الناس.

وكانت رؤيته لوحدة الأمة نابعة من مفهومه للدين كنظام، وللقرآن كدستور يجتمع حوله الناس، والقرآن يؤكد في آيات كثيرة وحدة الأمة بقوله تعالى: " **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فاعبدونِ** " (الانبياء:٩٢)، وكان الإمام علي يعدُّ تمزق الأمة وانقسامها ناتجًا من

سوء الفهم للقرآن، مما يؤدي إلى سوء الفهم لعقيدة التوحيد، إذ يقول " ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، وربهم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد، فهل أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم أنزل الله ديناً تاماً فقصّر الرسول عن تبليغه وإداءه؟ والله سبحانه يقول: " **مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ، وفيه تبيان لكل شيء**"، وذكر: أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضا، ولا اختلاف فيه، فقال سبحانه:" **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** "، وأنّ القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقض غرائبه، ولا تُكشف الظلمات إلا به(١١).

علي ولد مع ولادة القرآن، ونمى مع التنزيل، وأكتمل مع اكتماله، فهو بحق قرآن ناطق .ليس من الحكمة أن نربط عبقرية هذا الرجل بخيوط الأحداث التي بعثرتها حوله ظروف البيئة كما تبعثر الريح الرمال.

ومن أراد أن يفهم هذه الشخصية فهماً يليق بمنزلته، عليه أن يدرس القرآن ويقرأه قراءة باحث عن أسراره ومكامنه حتى يتمكن أن يفهم الأسرار العجيبة التي أدت الى أن يكون إبن أبي طالب علياً وسراً إلهياً، وأن التأريخ الذي كتب عنه لا يكفي لفك مفاتيح أسرار شخصيته. إن التأريخ ومع الأسف لم يدون إلا الحروب والمعارك التي خاضها دفاعاً عن وحدة الرعية، وحفظا لكرامة الإنسان، ورعاية لحدود الاسلام، القرآن بالنسبة للإمام علي هو دعوة، وكل دعوة عبارة عن حوار، فالقرآن دعا الناس للحوار، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات :١٣) ، ولم يُنزَل للتخاصم، فالله سبحانه يبين في الآية المباركة بموضوع الحياة "إِنَّا خَلَقْنَاكُم... وَجَعَلْنَاكُمْ".. هدفها التعارف أي الحوار، وقد بيّن القرآن الاطار العام لهذا الحوار بقوله تعالى:" **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** " (النحل: ١٢٥)، وكان علي يرى أن الحوار مع الناس يجب أن يسبقه حوار مع

الذات كما أوضح هذا المفهوم بقوله: " معلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم " ، فالحياة بالنسبة إلى الإمام علي هي حوار، ووجود العنف دليل على انعدام الحوار، مما يؤدي إلى توقف عجلة التقدم في الحياة.

أشار إلى قواعد تمثل مرتكزات أساسية للوصول إلى تلك الأهداف العليا، منها:

القاعدة الأولى: تغليب رأي الأكثرية واحترام الأقلية لها:

هذا المبدأ عده الإمام قاعدة أساسية للتعايش وضمان وحدة الأمة: " والزموا السواد الأعظم " وبدونها لا يمكن بناء أي حوار مع الآخر، وهو مبدأ احترام رأي الأغلبية (العامة) من الأقلية (الخاصة) مهما كان قرب الأغلبية من الصواب أو الخطأ، كما انصاع علي عليه السلام لرأي الأكثرية في صفين حينما أراد منه جمع من جيشه إرجاع مالك الأشتر من متابعة معاوية بن ابي سفيان، حين طلب منه الأشتر أن يمهله وقتا {كحلبة شاة} (١٢)، ليقضي على معاوية، وينهي عصيانه إلى الأبد، ولكن علياً الخليفة لم يمهل مالكاً نزولا عند رأي الأكثرية إرضاءً لهم حتى في أحلك الأوقات عليه، وهي حالة الحرب والقتال، وهذه القاعدة سارية المفعول في تعيين أمراء للناس، وفي اتخاذ القرارات الحاسمة اليومية وفي أصعب الأمور، وقد وضعها الرسول محمد واحترمها في واقعتين كبيرتين من حياته وهما:

الأولى: قبل بدء معركة أحد؛ إذ أشار الرسول محمد على أهل المدينة أن يبقوا فيها ويقاوموا المشركين من داخلها، فأيده في ذلك عدد غير قليل من أصحابه، إلا أن الأكثرية رفضوا هذا الاقتراح؛ لأنهم تصوروا أن الفكرة تتنافى مع تقاليدهم، وفضلوا الخروج للأعداء خارج المدينة، فنزل الرسول عند رغبتهم؛ لأنهم كانوا يمثلون الأكثرية (١٣).

والثانية: في أحدى الغزوات نزل الرسول محمد عند رغبة الأكثرية في عملية تقسيم الغنائم على الرغم من معارضته لهم، حيث عالجها بطريقة لا تمس وحدة الأمة، ولا تنقض مبدأ احترام الخاصة رأي العامة، فالإمام علي سار على هذا النهج وعززه، ومن كلامه لمعاوية بن

أبي سفيان " انه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد " (١٤).

قال الخوارزمي الحنفي في كتابه المناقب: ومن كتب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب لمعاوية قبل نهضته إلى صفين:" أمّا بعدُ؛ فإنّه لزمتك بيعتي بالمدينة وأنت بالشام؛ لأنّه بايعني القوم الّذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يردّ "، ومعنى هذه العبارة: إن كان معاوية يرى صحّة خلافة الّذين سبقوا الإمام وأنّ المسلمين قد بايعوهم، فما يكون لمعاوية بعد هذا إلاّ الانصياع للأمر الّذي ألزم به نفسه ويبايع الإمام ؛ لأنّه قد بايع الإمام القوم الّذين بايعوا السابقين عليه، وإلاّ فيكون ممّن اتّبع هواه فتردّى، الأمر الّذي أشار إليه الإمام في نهاية رسالته إليه: (ولعمري يا معاوية! لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمنّ إنّي كنت في عزلة عنه إلاّ أن تتجنّى؛ فتجنَّ ما بدا لك!) (١٥). وهذا تطبيق عملي لقاعدة الالزام عند الفقهاء والقانونيين، وما على معاوية الا الانصياع والطاعة.

ومن كلامه الى مالك الأشتر النخعي عندما ولاه مصرًا: " وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر برضا العامة " (١٦).

وأما في صفين؛ في هذا الحدث الكبير يؤكد لنا جلياً ومن دون أيّ شك مفهوم الإمام لحكم الناس ضمن هذه القاعدة الأساسية، وهي قبول حكم الأغلبية حتى لو وضعت تجربته في مهب الريح، وفعلا كان الإمام يدرك أن تجربته سوف تتعرض لأشد المخاطر، حين قال:" لم يزل أمري معكم على ما أحب الى أن أخذت منكم الحرب ... ألا اني كنت بالأمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت منهياً، وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون" (١٧).

عدَّ الإمام حكم الأغلبية دستوراً يجب الالتزام به، وأن يخضع له كل الناس من أميرهم إلى مأمورهم؛ لأنَّ بها دون غيرها تتحقق وحدة الأمة وبناء الحوار الصحيح، ومن أجل موقفه من الخاصة والعامة، أحبه العامة وارتضوه إماماً وهادياً ومهدياً، وأنكره معظم الخاصة وأهل المطامع، وفضلوا لغة، القطيعة على لغة الحوار، وعلى الرغم من ذلك كله؛ لم يغلق الإمام الأبواب في وجوههم، حيث استمر يبعث الرسائل والوفود لدفع الحرب واجتثاث ثقافة العنف كبديل لحل الخصومات بالطرق الدستورية المبنية على الحوار.

القاعدة الثانية : الحوار هو كشف الحقيقة، وحسن الظن بالآخر

لقد كان عصر خلافة الإمام علي عصراً مضطرباً؛ لأن الرجل في ذلك الزمن كان يمسي مؤمناً بخلافته ومطيعاً لأوامره، ويصبح متطلعاً للالتحاق بمعارضيه، وقد وجد الإمام عليّ أن التغيير الحاصل في حياة الناس وتطلعاتهم نحو الرخاء أوصلتهم إلى حالة جعلتهم يصدّقون أي شيء في الفريقين (الخاصة و العامة) ، فكان أسلوبه مع الناس أسلوب المكاشفة والشفافية، فقال لهم " يا أيها الناس من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال، ولا تسيء اللفظ وإن ضاق عليك الجواب، ولا خير في الصمت عن الحكم، كما أنه لا خير في القول بالجهل، تكلموا تعرفوا، فإن المرء مخبوء تحت لسانه" (١٨).

وكان مصدر إلهام الإمام هو الكتاب والسنة في كل أحكامه ومواقفه، حيث نشأ مع القرآن نشأة المروءة والنصيحة والمكاشفة في الحق، لأنه لا موقع للرياء والغش في قلبه (ع) وعمله، لأن ممارستهما هو من قبيل الشرك بالله سبحانه.

وكان يعظ الناس بقوله: " رأيت رسول الله يبكي، فسألته ما يبكيك يا رسول الله؟ قال لي: إني تخوفت على أمتي الشرك، أما أنهم لا يعبدون الشمس ولا القمر ولكنهم يراؤون بأعمالهم" (١٩). فالرياء عند الإمام علي هو نقيض الحوار السليم وهو بمثابة الشرك.

قال يوما للخوارج " كلّكم شهد معنا صفين؟ قالوا: منا من شهد ومنا من لم يشهد، فقال لهم: فاختاروا فرقتين، فليكن من شهد صفين فرقة ومن لم يشهده فرقة، حتى أكلم كلا منكم بكلامه"(٢٠) كان هدف الإمام هو إزالة الشك من قلوب الناس لوأد الفتن قبل طلوعها، وكان الإمام يحسن الظن بالناس على الرغم من معارضتهم له، ويبصر أن التغيّرات السريعة في حياة المسلمين من قبيل الرخاء الذي أصابهم جعلتهم؛ لأن يتخذوا المواقف غير السليمة، طبقا لقوله تعالى:" **إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى، أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى** "(العلق: ٦-٧)، فالمكاشفة النزيهة والحوار المسؤول هما السبيل الأمثل لضمان سلامة الرعية من الانحراف.

ويذكر التاريخ أن عبد الله بن عمر بن الخطاب لم يبايع عليا بالخلافة، ففي حادثة كفله الإمام علي بنفسه، وقال: أنا له ضامن، فلم يشهد التأريخ أن حاكما يكفل معارضاً له ويأبى بيعته إلا علي بن ابي طالب، لأنه لم يرد غلق باب الحوار الذي هو الصلة المتبادلة حتى مع الخصوم، فإن حسن الظن بالآخر هو أساس استمرار الحوار، حيث لم يرغب الإمام استعمال السلاح والعنف، وقمع الإرادة والحرية.

القاعدة الثالثة: الحوار من أجل البناء

إن الحوار الصحيح مناظرة لا مهاترة، تعارف لا تخالف ، حديث مودة لا حديث بغضاء، الحوار الموضوعي بنظر الإمام علي يفترض التسامح والتفاهم والاحترام والتقدير بين المتحاورين، فإن شرعة اللاعنف التي نادى بها عليه السلام في مسيرة حياته هي شرعة الرسول محمد، وشرعة الحوار الصحيح في الحقيقة الدينية، هي أصلا شرعة القرآن:" **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** "(سورة البقرة: ٢٥٦)، فالعقيدة الصحيحة المبنية على القرآن تفرض احترام المحاور مهما كان رأيه، ويجب تقدير عقيدته، وإن كنا لا نأخذ بها، ولقد سن القرآن هذه السنة بقوله تعالى:" **لكم دينكم ولي دين** " (سورة الكافرون:٦).

ومما يؤدي الاختلاف من وقوع تدافع بين الناس يشكل أحد أهم مقومات بناء الأرض ورفع الفساد عنهم كما عبر القرآن عن هذه الحالة بقوله تعالى ((وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ))(البقرة :٢٥١).

جاء أحد الخوارج واسمه الخريت بن راشد إلى الإمام علي بعد رفع المصاحف وانتهاء التحكيم، وجرى بينهما حوار أمام الناس، فقال الخريت لعلي: لا والله من اليوم لا أطيع أمرك، ولا أصلي خلفك، وأني غدا لمفارق لك. فقال له علي: ثكلتك أمك، إذن تنقض عهدك، وتعصي ربك، ولا تضر إلا نفسك، فأخبرني لم تفعل ذلك؟ أجاب الخريت: لأنك حكمت في الكتاب، وضعفت عن الحق إذ جد الجد، وركنت الى الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليك راد، وعليهم ناقم، ولكم جميعا مباين. أجابه علي: ويحك هلم إلي أدارسك وأناظرك في السنن، وأفاتحك أموراً من الحق أنا أعلم بها منك، فلعلك تعرف ما أنت الآن منكر، و تبصر ما أنت عنه عمُ وبه جاهل. قال الخريت: فأنا غاد عليك غدا، ثم انصرف من عند علي.

لم يعد الخريت في الغد ولا بعد غد، وبقى على مفارقته لعلي، فجاء أحد أصحاب علي مشيراً عليه بأن يقبض على الخريت فرفض الإمام هذا الطلب (٢١).

وهناك حوار آخر حدث بين الإمام علي والحبيب بن مسلم الفهري (وكان من الخوارج).

حيث جاء الحبيب بن مسلم الفهري إلى الإمام علي مخاطباً إياه: اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم. فقال له علي: وما أنت وهذا الأمر! أسكت فإنك لست هناك ولا بأهل له.

فقام الحبيب وقال لعلي: والله لَتَرَيَنّي بحيث تكره ! فأجابه علي: لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ ! اذهب فصوّب وصعّد ما بدا لك(٢٢).

فالحوار في الحادثتين السابقتين هو حوار رجل من الرعية مع الخليفة مع تحكّم المفهوم السيادي المعروف للخلافة آنذاك، ومن قراءة الحوار مع حبيب الفهري يتبين أنه لم

يكن رفض الطاعة حسب، بل أشهر العداوة وأعلن الحرب علانية، وعلى الرغم من ذلك تركه علي حراً، وكان العرب يعرفون جيدا أنه لا يسفّهُ في مجلس علي رجل مهما كان رأيه.

القاعدة الرابعة: الحوار هو حديث إيمان لا حديث تكفير، وحديث معرفة لا حديث شتم وتحقير.

لم يكن الإمام علي رجلاً مستبداً برأيه، وهو القائل: " من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركهم في عقولهم، ومن استقبل وجوه الآراء عرف مواقف الأخطاء " (٢٣). وكان يسعى إلى فهم الأخر قبل الحكم عليه، إذ يصح أن نصدر حكماً بالاستناد إلى ما عندنا وحده فقد يكون ما عنده صحيحاً كما نعتقد صحة ما عندنا، والحقيقة تنشد الحقيقة، هذه الشرعة أخذها علي من القرآن: " **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ، قُل لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ، قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّـــاحُ الْعَلِيمُ** " (سبأ:٢٤-٢٥-٢٦) . وهذه الآيات نزلت عندما كان الرسول يحاور غير المؤمنين، ولكنهم كانوا يصرون على أن الحق من جانبهم، فحسم الرسول الحوار على قاعدة النص، حيث وضع نفسه في مستوى من يحاوره تاركًا الحكم لله، هذه القاعدة طبقها الإمام علي خلال حكمه. فمن الأولى على المسلمين التمسك بهذه القاعدة، ولاسيما في زماننا هذا، والعمل بالنقاط المشتركة الجامعة لمصالحهم.

لقد أحدث الخوارج شرخًا كبيرًا في وحدة الأمة التي طالما سعى الإمام للحفاظ عليها طوال حياته، لقد سمع قولهم: " ولا حكم إلا لله، فقال الإمام: كلمة حق يراد بها باطل، نعم أنه لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة الا لله، وأنه لا بُدَّ للناس من أمير بر أو فاجر، ولكن إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبه والتأويل" (٢٤). وعلى الرغم من هذه الخصومة التي أدت الى القتال لم يكفرهم علي، ولم ينسب لهم ما يهين كرامتهم، بل قال: إخواننا في الدين، وعندما ضُرِبَ من أحد الخوارج أطلق

وصيته الشهيرة فيهم " لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه ".

أما بالنسبة الى السب والشتم؛ فقد سمع الإمام علي قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين، فقال لهم: " أني أكره لكم أن تكونوا سبابين. ولكنكم لو وضعتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم؛ اللهم احقن دماءنا ودماءهم، واصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يَعرِفَ الحق من جَهَلَهُ، ويرعوي عن الغي والعدوان من لَهِجَ به" (٢٥).

فمن سيرة الإمام علي نرى ونطّلع على أن طابعين أساسيين كانا سائدين في الثقافة الاجتماعية العربية آنذاك: هما:

الأولى: نزعة الحرب والقتال أي ثقافة العنف واللاحوار.

والثانية: هي نزعة العصبية القبلية أي التوحيد القبلي، بدلًا عن التوحيد على أساس دستور يضمن حقوق الجميع بدون تمييز، فالمتتبع يلحظ بكلّ يسر وسهولة عدم تأثر الإمام علي بهما.

والتاريخ يثبت أنه لم يكن علي داعية حرب يومًا ما، وكان يقول لأمرائه: " لا تدعونّ الى المبارزة، وإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي إليها باغ، والباغي مصروع " (٢٦)، أي كل دعوة إلى العنف هي خسارة في نظر علي (ع)، وكان (ع) يرى في الحرب والقتال مَتلَفَةُ للحق بقدر ما هي تغطية للباطل، وكان مؤمنًا بالحوار والسلم أشدُّ الايمان، وهو القائل: إياكم والخصومة. فثقافة العصبية القبلية والتوحيد القبلي هو فقه الطاعة للأمير و ليس فقه الحوار.

إن الفقه الذي تبناه الإمام علي هو فقه الإصلاح الذي أساسه الدستور وهو القرآن، والفقه الذي التزمه خصوم علي هو فقه الطاعة للأمير حتى لو تسلط على رقاب المسلمين بالغلبة وقطع الرؤوس كما يسمى اليوم بالانقلاب العسكري.

ولو ألقينا نظرة على مفهوم الرئاسة والإمرة عند الإمام علي فنرى أنها لم تكن حقاً يستأثر به أحد أيا كان، بل الولاية والإمرة هي من الجماعة، تولي من تشاء وتخلع من تشاء بحسب قربه أو بعده من الدستور وهو كتاب الله، ويوضح هذا المفهوم بقوله: " فإن ولّوك في عافية وأجمعوا عليك فتم أمرهم، وإن اختلفوا فدعهم وما هم فيه"(٢٧)، لقد غلّب علي فقه الإصلاح أي الحوار على فقه الطاعة للولاة أو القبيلة .

ختام البحث:

هكذا نرى كيف وضع الإمام علي استنادا إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد (ص)، وفلسفته ورؤيته للإنسان والحياة أسسًا للحوار من دون تمييز في الفكر واللون والاعتقاد، فهل يصح أن نسمي ما طرحناه؛ أسس الديمقراطية الحقيقية في التاريخ الاسلامي حتى لو كان مصطلح الديمقراطية حديثا علينا؟

ومن خلال هذا البحث نستدل على أن سلوك الإمام علي ومواقفه تدل على فهمه العميق للقرآن ولرسالة الإسلام، حيث كان يجسد تلك القيم والمبادئ في كيان انسان، وغير خفي لأهل العلم والفضيلة أن الأديان والمذاهب القديمة كانت تجعل الإنسان قرباناً للآلهة، أي تعده عاجزاً أمام الله مخلوقا ومسلوب الإرادة، أما موقف علي الذي هو موقف الاسلام بالذات من الانسان؛ فيدُّه أساساً وهدفا لبناء صرح الحضارة الانسانية لإدامة الحياة الحرة الكريمة للوجود كله، فالولاية لهذه المدرسة الانسانية تعني الاقتداء بسلوك الإمام علي بوصفه نموذجًا راقيًا لمفهوم الدين ووحدة أمة الانسان.

الهوامش والمصادر:

١.لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢): مستشرق فرنسي عشق الشرق ورأى في التصوف الاسلامي مناجاة الهية موجودة في كل الأديان.

٢.هنري كوربان (١٩٠٣-١٩٧٨): فيلسوف ومستشرق فرنسي وتلميذ المستشرق لويس ماسينيون، صب اهتمامه على دراسة الاسلام وبصورة خاصة التشيع.

٣.عبد علي سفيح : اطروحة دكتوراه بعنوان علي ابن أبي طالب إمام وخليفة، جامعة بوردو، فرنسا ، ٢٠٠٠.

٤.شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، دار كتب الاحياء العربية، مصر، ١٩٨٦، ج١، ص٩.

٥.سيد عطية أبو النجا، كتاب نهج البلاغة مترجم إلى الفرنسية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ، ١٩٨٦، ص١٥٠.

٦.لسان العرب ج ٣، ص٣٨٣.

٧.بسام عجك ، الحوار الاسلامي المسيحي، الطبعة الأولى، دار قتيبة، دمشق ١٩٩٧، ص٢٠.

٨. .شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٦ ، ص٩.

٩. .سيد عطية أبو النجا، المصدر السابق ، ص١٥٠.

١٠. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ، المصدر السابق، ج١٠، ص١١٣.

١١.المصدر نفسه، ج١٠ ، ص٢٧٢.

١٢.المصدر نفسه، ج١٨، ص١٣٠.

١٣.البداية والنهاية، غزوة بدر، ابن كثير، ج٤.

١٤.نهج البلاغة، خطب الإمام علي، ج٣ ص٧، دار مطابع الشعب في مصر ١٩٨١.

١٥. المصدر نفسه.

١٦. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، دار كتب الاحياء العربية، مصر ١٩٨٦، ج٨، ص٢٣٦.

١٧.المصدر نفسه، ج٩ ، ص١٣٥.

١٨.المصدر نفسه، ج٢٠ ، ص٢٥٥.

١٩.المصدر نفسه، ج٧ ، ص١٧١.

٢٠.المصدر نفسه،ج١٨، ص٧٠.

٢١.المصدر نفسه، ج١٨، ص٧٢.

٢٢.المصدر نفسه، ج١٨، ص٨٦.

٢٣.المصدر نفسه، ج٢٠، ص٢٥٠.

٢٤.المصدر نفسه، ج٣ ، ص١٢٨.

٢٥.المصدر نفسه، ج١١، ص٢١.

٢٦.المصدر نفسه، ج٢٠، ص١٦٧.

٢٧.المصدر نفسه، ج١٨، ص١٥١.

Margins and sources:

1. Louis Massignon (1883-1962): a French orientalist who loved the East and saw in Islamic mysticism a divine monologue present in all religions.
2. Henri Corbin (1903-1978): French philosopher and orientalist and student of the orientalist Louis Massignon. He focused his attention on the study of Islam, and in particular Shi'ism.
3. Abd Ali Sfeih: PhD thesis entitled Ali Ibn Abi Talib, Imam and Caliph, Bordeaux University, France, 2000.
4. Explanation of Nahj al-Balaghah Ibn Abi al-Hadid, Arab Revival Books House, Egypt, 1986, vol.1, p.9.
5. Sayed Attia Abu al-Naga, The Book of Nahj al-Balagha, translated into French, International Book Company, Beirut, 1986, p. 150.
6. Lisan Al-Arab vol.3, p. 383.
7. Bassam Ajak, Islamic-Christian Dialogue, first edition, Dar Qutaiba, Damascus 1997, p. 20.
8. Explanation of Nahj al-Balagha Ibn Abi al-Hadid, previous source, vol.6, p.9.
9. Sayed Attia Abu al-Naga, previous source, p. 150.
10. Explanation of Nahj al-Balagha Ibn Abi al-Hadid, previous source, vol. 10, p. 113.
11. The same source, vol. 10, p. 272.
12. The same source, vol. 18, p. 130.
13. The Beginning and the End, Battle of Badr, Ibn Kathir, Part 4.
14. Nahj al-Balagha, Imam Ali's Sermons, vol. 3 p. 7, Al-Shaab Press in Egypt 1981.
15. Same source.
16. Explanation of Nahj al-Balaghah Ibn Abi al-Hadid, Arab Revival Books House, Egypt 1986, vol. 8, p. 236.
17. The same source, vol. 9, p. 135.

18. The same source, vol. 20, p. 255.
19. The same source, vol. 7, p. 171.
20. The same source, vol. 18, p. 70.
21. The same source, vol. 18, p. 72.
22. The same source, vol. 18, p. 86.
23. The same source, vol. 20, p. 250.
24. The same source, vol. 3, p. 128.
25. The same source, vol. 11, p. 21.
26. The same source, vol. 20, p. 167.
27. The same source, vol. 18, p. 151.